

التراث الشعري العربي على شواهد قبور تلمسان في العصر الزباني

د. يحيى العصري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر

الملخص

احتل الشعر العربي مكانة هامة في تاريخ الأدب العربي الجاهلي وبعد ظهور الإسلام، لما كان يتميز به هذا الصنف الأدبي من البلاغة والتعبير الصادق عن مشاعر وأحاسيس العربي، فشارك به أفراحه وأحزانه وأضحى مؤنسه في حله وترحاله ووحشته، ولم تبقى تلك الأشعار الخالدة حبيسة الكتب والمخطوطات. بل كان من عادة العربي أن ينقش تجربته الشعرية والأدبية على الأحجار وشواهد القبور، هذه الأخيرة حَفَلت لنا بتراث غني من الأشعار المختلفة التي تَرجحت بين المراثيات والشعر الحكمي التي يُذكر بالموت ويُصور لنا ذلك السفر الطويل للميت، وما يجب أن يُعد له، وقد وجدنا بتلمسان مجموعة من شواهد القبور تضمنت نُخباً من الشعر العربي، وحاولنا تتبعها وتأصيل مضانها في الكتب التاريخية والأدبية حتى تكون في متناول الدارسين للأدب والشعر والآثار على وجه سواء.

الكلمات المفتاحية: بني عبد الواد، أبيات شعرية، شاهد قبر، الأدب العربي، المغرب الأوسط.



The Arab poetic heritage on the tombstones of Tlemcen in the Zayani era

Dr. Yahiaoui El Oumeri

Faculty of Humanities and Social Sciences
Abu Bakr Belkaid Tlemcen University

Abstract

Arabic poetry occupied an important place in the history of pre-Islamic Arab literature and after the emergence of Islam, when this literary genre was distinguished by its rhetoric and the sincere expression of the feelings and feelings of the Arab. And the manuscripts - rather it was the Arab habit to inscribe his poetic and literary experience on stones and tombstones, this last one full of us with a rich heritage of different poems that oscillated between elegies and wisdom poetry that reminds of death and depicts that long journey of the dead, and what should be prepared for him, In Tlemcen, we found a group of tombstones that included elites from Arabic poetry, and we tried to trace them and root their fluorescence in historical and literary books so that they are accessible to students of literature, poetry and archeology alike.

Keywords: Bani Abdel-Wad, Poetic verses, grave-stone, Arabic literature, Central Maghreb.

- مقدمة:

لقد تبوء الشعر مكانة هامة في المجتمع العربي سواء في الجاهلية أو الإسلام ، فهو يحمل في ثناياه إشارات ودلالات عن طبيعة الحياة التي عاشها الإنسان العربي في كنف الطبيعة التي اختلفت أنماطها بين القساوة والليونة تارة أخرى مما ألفت بظلالها على شخصيته ، التي كانت رهينة تقلبات الدهر وتغير الأحوال بين الأهوال والآمال ، فكان الشعر مشاركاً له في أفراحه وأحزانه ومؤنسه في حله وترحاله ووحشته ، فلم يأبى الإنسان العربي إلا أن يُلملم هذا التراث الشعري فيما توفر له من مادة للكتابة تحفظ له هذا التراث من الزوال فتعددت مجالات الكتابة والتدوين ، بتعدد صنوف الشعر وأنواعه ، ولعل الأحجار القبورية أو الشاهدية كانت المتنفس الأكثر للإنسان العربي فهذه الأخيرة حفلت لنا بتراث غني من الأشعار المختلفة التي تتواءم مع مثل هذه المواقف فتأرجحت بين المرثيات والشعر الحكمي الذي يُذكر بالموت ويُصور لنا ذلك السفر الطويل للميت، وضرورة الانتباه من الغفلة والتأسي بمن فارق هذه الدنيا من الأحباب والخلان وما يجب أن يُعد له الإنسان، ومن هنا نجد علاقة ترابط بين الشعري العربي كرسيد أدبي غني وبين شواهد القبور كوعاء مادي حفظ لنا هذا الإرث الشعري من الزوال ، ومن خلال اطلاعي على مجموعة من شواهد القبور المحفوظة في متاحف مدينة تلمسان ، وما أثار انتباهي وفضولي لدراستها هو تلك المضامين الثرية من الأبيات الشعرية التي كتبت على هذه الألواح الحجرية والرخامية والتي تعتبر زبدة الشعر العربي الذين يجمع بين الرثاء والنزعة الحكمية ، وهذه النقوش القبورية تعود في أغلبها إلى العصر الزياني الذي يُعد أزهى عصور المغرب الأوسط ، فكانت بحق هذا المحتوى الشعري مرآة عاكسة عن الوضع الثقافي الذي كانت تنتعم فيه هذه المدينة (تلمسان) فكانت من أفضل الحواضر العامرة بالعلم والعلماء والأدباء الوافدين عليها من كل الأقطار والأمصار ، فانتعشت في هذا الجو العلوم والآداب ، وهو ما ظهر جلياً على هذه المجموعة من الأحجار القبورية التي نحن بصدد دراستها والتي تضمنت خلاصة من صفوة الشعر العربي ، سنحاول تفكيك نصوصها واستنباط معاني أبياتها وتأصيل مضانها في الكتب التاريخية والأدبية حتى تكون في متناول الدارسين للأدب والشعر والآثار على وجه سواء ، وللإلمام أكثر بالموضوع جب علينا الانطلاق من إشكالية رئيسية تتمحور حول ماهي أهم المضامين الشعرية التي اشتملت عليها شواهد قبور الدراسة ؟ ، وما طبيعة العلاقة بين الشعر وشواهد القبور ؟ .

١- الشعر في التراث العربي:

إن التراث في المدلول اللغوي هو ما يخلفه الرجل لورثته، وأصله ورث أو وارث، فأبدلت الواو تاءً، فالتراث والإرث والوراثة مترادفة، هكذا قال ابن الأعرابي وابن سيده، وقيل: الورث والميراث في المال والإرث في الحساب. مما يشير إلى الميراث الثقافي، لأن الحساب هو مفاخر الآباء وشرف الفعال التي يرثها الأبناء ويتغنون^(١)، واصطلاحاً تعني كلمة التراث مجموعة معارفنا المتوارثة، مكتوباً كان أو مروباً، وهو يشكل وجداننا وعقولنا، وعليه يتوقف تقبلنا، وتعاملنا مع معارف العصر الحديث ومتغيراته سلباً وإيجاباً، وتراث الأمة الإسلامية يختلف من بلد عربي إلى آخر، لأن تراث الأمة العربية الإسلامية لا يقتصر في كل البلاد على الموروثين العربي والإسلامي، بل يضاف إليهما موروث آخر من تراث كل أمة قبل الإسلام^(٢).

وقد كان للشعر في نفوس العرب منزلة رفيعة لا تدانيها منزلة، ومكانة عالية لا تساميتها مكانة^(٣)، فالشعر كلام أو قول منظوم عليه الوزن والقافية لشرفه، والشعر من الفطنة فقد سُمي الشاعر بذلك لفطنته، وإجادته، وهو أدخل في النفس صورها ويدل عليها، ويفنن ليعبث في النفس التأثير^(٤).

لذلك فرض الشعر نفسه منذ جاهلية العرب، وأصبح ميراثاً أدبياً بارزاً المعالم، مقصود لذاته، بل هو أثقل عناصر التراث الأدبي ميزاناً بما له من شموخ الأثر وقوة الريادة: ولأنه الديوان الذي يرجع إليه الدارسون للغة القرآن الكريم^(٥) وكان ابن عباس يقول: " إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب، وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً"^(٦) فالشعر سجل ثري دُونَ فيه طبائعهم وخصالهم وعاداتهم، وديانتهم وعقليتهم، وقديماً انتفع الأدباء بشعر العرب في الجاهلية، فاستنتجوا منه بعض أيام حروبهم، وعرفوا منهم أخلاقهم التي يمدحونها والتي يهجونها، ويرثونها^(٧)، والشعراء هم أشد الناس انفعالاً وتأثراً، وطالما أنهم لا يختلفون عن غيرهم بالنسبة لمسألة الموت الذي يأخذ منهم بعض الأعداء، فإنهم وقفوا كثيراً أمام هذه المأساة الإنسانية ورثوا أحبابهم وأقاربهم وكل من كانوا يهتمون لأمره^(٨)، لذلك فقد نال الرثاء الحظوة والعناية من لدن الشعراء، وتغلب على ضروب الشعر الأخرى، فكانت قصائد، الرثاء متنفساً للشاعر الأصيل الغني النفس يودع همومه ونجواه ويصوغ فيه رؤيته للموت والحياة معبراً في الحاليين عن الوجدان الإنساني العام الذي يمثله، في نغمات حرار عميقة باللغة الأسى^(٩). فلذلك عُدت المرثية من أشد الأشعار وقعاً على النفس، وأحسن مناطق الشعر، فقد قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: " قد سئل أحد الأعراب ما بال أفضل أشعاركم الرثاء؟ فأجاب: لأننا نقولها وقلوبنا موجعة، أي لأنها صادرة عن عاطفة حارة صادقة بعيدة عن التكلف، وفي العقد

الفريد قال الأصمعي: قلت لأعرابي، ما بال المرثي أشرف أشعاركم، قال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة" (١٠). وإلى جانب الرثاء ظهر نوع آخر من أنواع الشعر، والذي لا يختلف كثيراً عن الرثاء كونهما يؤديان نفس الهدف ويرومان إلى تبيان حقيقة الدنيا وعدم الغفلة والانجرار وراء ملذاتها الفانية والاستعداد ليوم الرحيل ومفارقة هذه الدنيا الزائلة وهو المصير المحتوم الذي لا مفر منها ولا محيص، فكانت قوالب هذا النوع الشعري الذي أصبح يعرف بشعر الحكمة أو النزعة الحكمية، والتي حظيت بمنزلة عالية في التراث الشعري العربي، وهي حكمة اتسمت بالشعرية لذلك جاز للبعض تسميتها بشعرية الحكمة حتى أصبح فناً مستقلاً تُنظم فيه القصائد الطوال، فالحكمة تهدف إلى النصح والإرشاد والموعظة وهي خلاصة تجربة ذاتية وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة، فإذا تأملنا حكمة جاهلية مثلاً نجدتها تصلح لكل العصور (١١).

٢- الشعر العربي على شواهد القبور (١٢) :

لقد حَفَلَ التراث الإنساني ولاسيما الشعري منه سواء ما سُجِل على الآثار أو ذلك الذي دُون في بطون الكتب، أو ما تضمنته النقوش الجنائزية في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية والبابلية وشواهد قبور الأقبال والأدواء في اليمن والأمراء في الحيرة وعند الغساسنة في الشام من نقوش كتابية احتوت على أقدم صور شعر الرثاء والحكم، فعلى قبورهم كانوا يكتبون أسماءهم وألقابهم تخليداً لذكراهم وتمجيهاً لأعمالهم، وكان هذه هي الصورة الأولى للتأبين والإشادة بفضائل الميت (١٣).

وعندما نتصفح حياة العربي منذ الجاهلية فإننا نجد أنها تركت بصمتها على شعره وآثاره كلها، فكانت تتملك نفسه أحاسيس ومشاعر القلق والحيرة، لأنه لم يدرك أن هناك حياة أخرى بعد الموت، لذلك عمد أهل الجاهلية إلى نقش أسمائهم على الحجارة أو على القبور طمعاً في الخلود الأبدى الذي تسمو إليه كل نفس وتتوق إليه، فالنقش هو بمثابة الأثر الباقي على الأرض، ومن أجل ذلك اجتهد العرب الجاهليون على حفر أسمائهم لتبقى آثارها على الأرض، وتحتوي الجزيرة العربية وغيرها من البلاد العربية على كم هائل من الحجارة أو المعابد أو القبور التي نُقِشت عليها أسماء كثيرة، من أدلة ذلك نقش حوران (١٤) أو النمارة (١٥) وغيرها من النقوش الحجرية الأخرى (١٦).

وقد تعرضت بعض المؤلفات التراثية العربية إلى المضامين الشعرية على الكتابات القبورية ككتاب الهمذاني "الإكليل" الذي أفرده فيه باباً سماه (باب القبوريات) يتكون من إحدى وخمسون صفحة، استهل المؤلف حديثه فيه عن قبر بن تدمر بنت حسان (١٧).

ومن الكتب الأخرى أيضا كتاب الحافظ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) "كتاب القبور" الذي خصص باباً سماه "باب ما قرئ من الكتاب على القبور" وذكر فيه المؤلف مادة غنية من النصوص الشعرية^(١٨). كما نجد أيضاً كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) "مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن" الذي أفرده فيه باباً أيضاً تضمن "منتخب من محاسن ما كتب على القبور" الذي احتوى على نصوص شعرية كثيرة^(١٩). كما نجد أيضاً كتاب "إخبار الأخيار بما وجد على القبور من الأشعار" لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن خليل الشهير بابن اللبودي (٨٣٤-٨٩٦هـ)^(٢٠).

وقد أوصى كثير من الشعراء والعلماء في العصر الإسلامي أن تُكتب أبيات من الشعر على قبورهم سواء أكانوا هم قائلوها أم مُتمثلون بها، وفي أكثر الأحيان تكون هذه الوصية لحظة قرب ساعة الموت، فيذكرون في هذه الأبيات الماضي وما حدث فيه وينظرون إلى الموت نظرة إشفاق وترقب ويكون على أنفسهم وعلى شجاعتهم وعلى ما ارتكبه في حياتهم من آثام^(٢١)، وأحياناً تكتب قصائد في مدح الميت أو رثائه وأحياناً أخرى تُدون بعض الحكم والمواعظ الدالة على وجوب الزهد وتذكر الموت والإكثار من عمل البر، وأحياناً تكتب بعض الكتابات التعريفية كاسم الميت وتاريخ وفاته، وأحياناً تكتب نبذة مقتضبة عن سيرته^(٢٢).

وحفظت لنا النقوش بصفة عامة والقبورية بصفة خاصة تراث الجاهلية وصدر الإسلام، وذلك لما شهدته من تدوين وتأليف على صفحاتها، وإذا كان السواد الأعظم من الوثائق والصحف التي سُجلت عليها مآثر العرب وحضارتهم قد زالت واختفى جزء كبير منها، ويرجح الكثير من علماء الآثار أن استخدام هذه الشواهد القبورية في أنحاء العالم الإسلامي جاء نتيجة طبيعية لرغبة العرب ممن رحلوا عن ديارهم ونزلهم في أراض جديدة فكان لزاماً عليهم التعريف بأنفسهم بعد الوفاة، وهي رغبة كثيراً ما تمتلك نفس المغترب^(٢٣)، فقد كان من عادة العرب أنهم يكتبون على الأحجار القبرية اسم الميت وما أتى من أعمال يعتبرونها مدعاة للفخر ثم يؤرخون الوفاة داعين بالسعادة لذرية الراحل^(٢٤).

٣- خصائص وأسلوب شعر الشواهد:

هناك علاقة تربط بين تلقي الشعر وتلقي فنون الخط العربي، ذلك الشعر يتشكل باللغة التي تدرك بالسمع، بينما الرسم والنحت يتشكلان بالخط واللون والكتلة، التي تدرك جميعاً بالبصر، لأن المتلقي بإزائها يعتمد على الصورة الأخرى التي تتكون في ذهنه، ومن ثم لا يكون هناك فرق بين صور تكونها لدى المتلقي عبارات شعرية، وأخرى تكونها لديه خطوط وألوان، مع التسليم بوجود اختلاف في أنماط التكوين، فالشعر يعتمد على اللغة بوصفها علامات دالة تجمع

في تتابع زمني لتصنع مدركا حسيا له طابع مكاني، أما الفنون التشكيلية بما فيها الخط ، فإنها تعتمد على المعطى البصري الذي يؤدي مباشرة إلى تكوين المدرك الحسي ذي الطابع المكاني^(٢٥)، فقد قال سيمونيدس الكيوسي (من جزيرة كيوس في بلاد اليونان ، وقد عاش حوالي سنة ٥٥٦ إلى سنة ٤٦٨ ق.م) : " إن الشعر صورة ناطقة أو رسم ناطق ، وإن الرسم أو فن التصوير شعر صامت"^(٢٦). وقد اعتمد الشعراء على الخط العربي اعتمادا كبيرا ، خاصة من الناحية الجمالية والرمزية التي تُغني في الكثير من الأحيان عن دلالات القصيدة فقد صار يُثير انتباه الشعراء على السواء ، وذلك علامة على أن الحرف بدأ مكانة في البصر إلى جانب مكانة الصوت في السمع ، ويُنحت له صورة في الخيال إلى جانب الصورة الصوتية للمسموع، فالخط العربي له دور كبير في إثراء جمالية النص الشعري^(٢٧). ولعل بنية المكان في الشعر العربي القديم تتجلى بوضوح لدى الخطاطين الذين كانوا يتفننون في تخطيط القصائد والدواوين ، وبالأخص عند أولئك الذين كان لهم ولع بالخط كفن وكعنصر أساسي من عناصر التشكيل العربي الإسلامي ، كان يعتمد في المقام الأول على الهندسة التجريدية للخط المستقيم والمنحني والمنكسر، والأشكال الزهرية والنباتية ، فهؤلاء الخطاطون ، الخالقون لرافد من روافد التشكيل العربي والإسلامي، هم الذين انتبهوا أكثر من غيرهم لخاصية المكان في النص الشعري، وزاوجوا بين الوسيلة والغاية ، جعلوا النص وسيلة عندما استعانوا به في تشكيل إبداعاتهم ، وغاية عندما حولوه إلى مجال لأبحاثهم التشكيلية^(٢٨).

٤- الشعر العربي على شواهد قبور المغرب والأندلس:

إن الكتابة على شواهد القبور في المغرب والأندلس لم تكن بالقدر والكثرة التي شهدها المشرق الإسلامي من حيث العدد، فقد ظلت التدوين على شواهد القبور من الظواهر القليلة والمحدودة في المغرب الإسلامي ، وهذا ما يدل على العدد القليل من الشواهد التي عثر عليها في المقابر المغربية، وهذا يبين إلى تجريد قبور موتاهم من كل ما يشير إلى التعريف بهم^(٢٩)، وربما يرجع السبب في ذلك إلى قلة الدول والإمارات الإسلامية التي حكمت المغرب الإسلامي مقارنة بالمشرق الإسلامي ، وهو ما ذهب إليه عالم الآثار السويسري ماكس فان برشم من أن المغرب الإسلامي شهد شُحاً في صناعة الشواهد باستثناء الحواضر المغربية الكبرى مثل القيروان ، وتونس وتلمسان ، ومرد ذلك حسب رأيه إلى الفترات العصبية التي مر بها هذا الإقليم من جراء الصراعات المستمرة والدول المتعددة التي حكمته^(٣٠). وهناك عامل آخر ديني تمثل في التقاليد الدينية المُتزمة التي كانت سائدة آنذاك وشيوع المذهب المالكي الذي كان أكثر صرامة في كراهية الكتابة على شواهد القبور، ومثال ذلك ما ورد عن الشيخ أبي عبد الله الحطاب الرعيني بقوله:

"... أنه يجوز أن يجعل على القبر حجراً أو خشبة بلا نقش لتمييزه عن غيره ، وكلام المصنف يقضي أن ذلك جائز وهو ظاهر كلام واحد قال المازري " كره ابن القاسم أن يجعل على القبر بلاطة يكتب فيها ولم ير بالحجر والخشبة بأساً يعرف به الرجل قبر وليه ما لم يكتب.." (٣١).

إن أقدم شاهد قبر في المغرب الإسلامي عُثر عليه بمنطقة بتهودة شرق بسكرة (الجزائر) مؤرخ بعام ١٢٦هـ/٧٤٤م مصنوع من الرخام (٣٢)، وعُثر علماء الآثار في عاصمة دولة بني حماد (٣٣) على شواهد قبور ولكنها قليلة ، وكانت أغلبها مصنوعة من الحجارة التي كانت تتوفر في المحاجر المحلية ، الموجودة في الجبال المحيطة بها، وكانت هذه الشواهد القبورية تتخذ نفس الشكل المتساوي السطوح الذي يعلوه جذع هرمي المزين بكتابات كوفية مع اختلاف في التفاصيل، وقد أحصى الباحث رشيد بورويبة سبعة أنماط من هذه الشواهد (٣٤) كما استخدم الحماديون في صناعة شواهدهم نوعاً من الرخام ذي اللون الرمادي الذي تميزت به المصنوعات الرخامية لمدينة القلعة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

وفي العصر المرابطي لم يعثر إلى حد الآن على أي شاهد قبر من هذا العصر بالجزائر، وأما العصر الموحي فقد كشفت لنا الحفريات الأثرية على عدد قليل من الشواهد، يقدر عددها بحوالي أربعة شواهد من الرخام محفوظة بمتحف بجاية، وشاهداً خامساً من الحجر الرملي ذي اللون الأحمر عثر عليه في حفريات ١٩٩٢م بمدينة أشير مؤرخ بعام ٥٦٢هـ (١١٦٧- ١١٦٨م) ومحفوظ حالياً بمتحف بجاية أيضاً (٣٥).

وفي الأندلس اهتم أهلها بوضع الشواهد على قبور موتاهم منذ القرون الأولى، خاصة في القرن ١٠٣هـ/١٠٩م، كما توضح إشارات ابن الفرضي الغنية والكثيرة، وانطلاقاً من منتصف القرن ١٠٤هـ/١١٠م ، صار الأشخاص يُعدون شواهد قبورهم في حياتهم أو ما يكتب عليها ثم يُؤصون بوضعها على القبر، وأقدم مثال على ذلك ما تعلق بالزاهد أبي وهب العباسي الهاشمي (ت ٣٤٤هـ/٩٥٤م)، الذي ترك حجراً كتب عليه أبياتاً أوصى بوضعه على قبره. ثم توسعت الظاهرة خلال القرون الثلاثة الموالية، ذلك أن كثيراً من الشعراء كانوا يعدون شعراً ليكتب على قبورهم، وهذا الحرص على إعداد الشاهدة ليس اهتماماً فقط بالشاهدة لأنها أمر مألوف ومضمون حتى دون الإيماء به ، بل هو اهتمام بما تحتويه من مضامين (٣٦).

وصار نقش الأشعار على مقابر السلاطين والقادة والأمراء والمشاهير تقليداً يعتد به منذ وقت مبكر في الأندلس ولكنه لم يستحل عادة رائجة عند الناس إلا في أواخر الإمارة الأموية. وترسخت هذه العادة في المقابر الأندلسية العامة والخاصة ("الرياض") وتمت إقامة شواهد منحوتة بالزخارف.

وتذكر لنا المصادر التاريخية مباني دفنية دُفن فيها أبناء السلالات الحاكمة والعائلات الراقية الأندلسية كما أمدتنا بمعلومات عن أخبارا عن بعض القبور الشهيرة بكتابتها مثل قبر الأمير المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، وتشير تلك المصادر التاريخية إلى أشعار قد تم نقشها على القبور بعد وفاة الشخص وتقديرا له، وهو الدين الأكثر شيوعا بطبيعة الحال، ولكن هناك شعراء نظموا أبياتا تأبينيه قبل وفاتهم ثم طلبوا بكتابتها على قبورهم رثاء لهم. وكانت هذه العادة ذائعة لدى الأدباء الأندلسيين من أمثال أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ/١١٩٩م) (٣٧).

٥- الحياة العلمية والأدبية في تلمسان:

ولقد كان لموقع تلمسان الهام باعتبارها نقطة وصل بين الشرق (القيروان) والغرب (المغرب الأقصى والأندلس) مكانة هامة على مدار التاريخ الإسلامي بصفة عامة والمغربي بصفة خاصة، حيث شهدت هذه المدينة تعاقب الكثير من الدول التي حكمت المغرب الإسلامي ابتداء من إمارة بني يفرن والأدارسة والرسّتميين والفاطميين والمرابطيين مروراً بحكم الموحدين، ثم الزيانيين الذين كان عصرهم من أحفل عصور المغرب الأوسط وأزهاها، فقد اتخذوا تلمسان حاضرة لملكهم ، ونظرا لعناية سلاطينها بالعلم وتقريبهم لأهل الصلاح من الفقهاء والعلماء ، فقد نشطت الحياة الثقافية بها وكانت قبلة لطلاب العلم والدارسين والمشايخ من كل حذب وصوب فانتعشت الحركة العلمية، وفي ظل هذا الزخم الحضاري شهد الشعر ازدهاراً كبيراً وتطور تطوراً ملحوظاً في عهد بني زيان كغيره من العلوم والفنون المختلفة، بفضل نمو الحركة الفكرية والأدبية التي عرفتها عاصمة المغرب الأوسط،، وقد أدت إلى ازدهاره عوامل عديدة تتجلى في قرض كثير من ملوك الدولة الزيانية الشعر وبذلهم الأموال للشعراء، واهتمامهم بأهل العلم والأدب كما ساهمت المناظر الطبيعية لتلمسان وضواحيها الفاتنة في شحذ قرائح الشعراء حيث اهتم عدد كبير من العلماء بقول الشعر وقرضه فبرعوا فيه كما برعوا في علوم الطب والرياضيات والفلك والعلوم الدينية وغيرها (٣٨). ولم يكن قول الشعر مقتصرًا على الشعراء فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوزراء والكتاب والأطباء والفقهاء وعلية القوم فكانوا يعالجونه، فيستقيم لهم، ويطول نفس قصائدهم حتى يزيد عن المائة بيت. فهذا أبو حمو موسى ينظم أحسن القصائد والأغراض المتباينة، فكانت له قريحة شعرية وقادة، ومواهب متعددة في نون الأدب والسياسة، وذاك السلطان أبو زيان محمد الثاني، يقرض الشعر عن سجية وعفوية ملؤها الفصاحة والعذوبة الساحرة. وكان لموقع تلمسان بين البساتين الناظرة، وطبيعتها الجميلة الساحرة أثر عميق في إحساس الشعراء وتقجير مواهبهم،

وشحذ قرائحهم للإنتاج الأدبي عامة والشعري على وجه الخصوص، فبرزت منهم طائفة ملأت المدينة شعراً ونظماً في مختلف الأغراض، تميزت بغزارتها وطوب نفسها وجودة نسجها^(٣٩). إضافة إلى مؤلفات أدبية وشعرية مثل مؤلف عبد الجليل الذي عاش في عهد المتوكل، والذي جمع الشعر الذي قاله السلطان أبو حمو موسى الثاني، وبعض ما قاله يحيى بن خلدون في كتابه بغية الرواد، وعلى الخصوص الجزء الثاني منه الذي خصصه لأبي حمو موسى الثاني، وحتى التنسي في كتابه نظم الدر والعقيان، وأغلب القصائد تتعلق بالمولدات الذي تميز بها هذا العصر، جمعها كتابه الأرواح فيما قاله أبو حمو من الشعر، يضاف إلى ذلك ابن مرزوق، الذي لجأ إلى شرح كتاب العمدة لابن رشيق المسيلي القيرواني، أي تبسيطه، لكي يسهل على الطلبة فهمه، وفعل ذلك معاصره: الشريف التلمساني، فشرح هو بدوره كتاب العمدة^(٤٠). وكانت تُعقد المناظرات الأدبية خاصة في قصر الملك في القاعة الرئيسية في المشور، و تميز شعر هذه الفترة من الزمن بالرقّة والدقة والنعومة والتشابه الحلو والصور البديعة، والرنة الموسيقية، والعبارة السليمة والعاطفة الصادقة. وكان الشعر صورة صادقة للبيئة الاجتماعية، وتميز شعراء العهد الزياني بحب الوطن وحب الطبيعة الذي سحر أبصارهم وولد فيهم حب الجمال وسعة الخيال، وقد اثر التصوف في الأدب عموماً والشعر خصوصاً لذلك كانت قصائد كثيرة تغلب على المسحة الصوفية^(٤١).

٦- شواهد القبور الزيانية:

يعتبر العصر الزياني من أزهى العصور التي شهدتها المغرب الأوسط، ونالت مدينة تلمسان من الحظوة والمكانة في عهد بني زيان، فأصبحت من أكبر الحواضر المغربية، واتخذها بنو عبد الواد^(٤٢) عاصمة لهم وللمغرب الأوسط فتدرجت هذه المدينة في سلم الرقي والمجد والعتاء، فنمت الحركة الفكرية و الأدبية بها بتوجيه ومساعدة سلاطين بني زيان وتحفيزهم، فكانت تلمسان قبلة للعلماء وطلبة العلم مركز اشعاع حضاري أنار كل أنحاء المغرب الإسلامي بل وحتى المشرق الإسلامي، وقد انعكس هذا النشاط الفكري و الأدبي الدؤوب إيجاباً على كل مناحي الحياة الحضارية في عاصمة بني زيان، لذلك نجد مضامين شواهد القبور وما احتوته من نصوص كتابية دينية وأشعار وسجل ثري خاص أسماء وألقاب السلاطين والعلماء وطلاب العلم وأرباب المهن والحرف، ويعد هذا دليل مادي على ذلك الزخم الحضاري الذي كانت تعيشه هذه الحاضرة وما كانت تضمه في نسيجها الاجتماعي.

وقد عثر علماء الآثار على عدة مقابر لعامة الناس وأخرى ملكية دُفن فيها ملوك وسلاطين بنو زيان من العائلة الحاكمة، ومن أهم المقابر الموجودة في تلمسان نجد مقبرتي سيدي

وهب الواقعة بباب وهب وسيدي داود الواقعة بباب العقبة ، ومقبرة وانزوتة نسبة إلى عين هناك ذكرها يحيى بن خلدون ، وإضافة إلى ذلك هناك مقبرة القاضي التي ضمت الكثير من شواهد أعلام تلمسان مثل عائلة العقباني وعائلة المقري، وهناك أيضا مقبرة منطقة العباد فهذا المكان كان عبارة عن مقابر لمدينة تلمسان، والتي بقيت قائمة حتى بعد العهد الزياني، ومن المقابر الملكية الزيانية مقبرة سيدي إبراهيم المصمودي أو ما يطلق عليها روضة بني زيان وقد شيدت هذه المقبرة بعد وفاة السلطان أبي يعقوب والد السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م. وكانت المادة المستعملة في هذه التحف هي الحجر والرخام الأبيض ، كما تعدد أشكال هذه الشواهد بين الشكل المستطيل وشبه المربع والاسطواني ، والشواهد الموشورية^(٤٣).

وقد نفذت النصوص الكتابية على شواهد القبور الزيانية بالخط الكوفي ولكن في إطار ضيق، وساد استعمال خط الثلث المغربي^(٤٤) أو ما يسميه البعض بالخط المغربي المتمشرق الذي أضاف بزخرفته الكتابية المتناسقة وما تخللته حروفه من زخارف نباتية وهندسية، نفذت في أغلبها بأسلوب النقش البارز جمالاً ورونقاً على هذه الشواهد الزيانية ، لكن ما يُلاحظ على هذه الأخيرة عدم ذكر الكاتب أو الخطاط الذي قام بنقش النصوص الكتابية عليها ولا توقيعه كما هو معروف في شواهد القبور الإسلامية ، ولكن يمكننا أن نتبع آثار البعض من أسماء الخطاطين المشهورين في تلمسان الذين أشارت إليهم بعض المصادر و المراجع ، والذين تنافسوا في تجويد الخط وتحسينه خاصة وما تعلق بكتابة المصاحف و التفنن في ضبطها، فكان من بينهم أبي عبد الله محمد بن مرزوق الذي كان ينسخ المصاحف ، وكان جده يُحسن الخطين المشرقي و المغربي، كما ظهر من بين الخطاطين الأديب الخطاط الواد الآشي الأندلسي الذي وفد من غرناطة بعد سقوطها في يد الإسبان وأصبح من كبار النساخين ، حيث نسخ أزيد من مائة كتاب ، ونسخ بفاس نحو ثمانمائة سفر، واشتهر الإمام القاضي العلامة أبو إسحاق بن إبراهيم بن علي اللحام ببراعة الخط وجودته، كما اشتهر أيضا بعض الفقهاء بنسخ المصاحف و الكتب ومن بينهم : أبو عبد الله بن الملك والشيخ ابن الحسيني وكذلك العلامة محمد السنوسي الذي كتب نحو ثلاثين كتاباً بخط يده^(٤٥).

تُعد هذه المجموعة من شواهد القبور التي نحن بصدد دراستها من أغنى شواهد القبور ذلك أنها تحوز على مضامين ثرية تنوعت بين المعلومات التاريخية والاجتماعية والسياسية والأدبية ، ذلك أن أغلبها قد عثر عليه في المقابر الملكية الخاصة بملوك آل زيان وعائلاتهم، إضافة إلى مقبرة سيدي إبراهيم المصمودي (ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م) الذي دُفن في المقبرة الملكية

وأصبحت اليوم تُنسب إليه لوقوعها إلى جانب قبر هذا الولي والمسجد الذي ينسب إليه، وهي تضم وفاة السلطان أبي يعقوب، وكذلك مقبرة القصر البالي وتقع غرب مسجد الجامع يعتقد أن السلطان أبو حمو موسى مدفون هناك .

من خلال قراءة النصوص الكتابية المسجلة على هذه النقوش القبورية يتكشف لنا رصيда من الأبيات الشعرية التي حُفّلت بها هذه الآثار الفنية التي تُعتبر من صفوة التراث الشعري العربي التي جاد بها فحول شعراء العرب الأفذاذ، وقد عكف كل من الباحثان عبد الحق معزوز ولخضر درياس في دراستهم الموسومة بجامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، الجزء الثاني كتابات الغرب الجزائري إلى مجموعة من الشواهد القبورية بمتحف تلمسان ، وقد اعتمدت على هذه الدراسة القيمة ، التي تُعتبر جُذُ مهمة للباحثين في هذا الحقل المعرفي ، ومن الواضح أن بعض شواهد القبور وبفعل عامل الزمن والحفظ السيء أحياناً قد تعرضت إلى فقد بعضاً من أجزائها مما جعل قراءة النصوص الواردة عليها أمراً صعباً ، وأحياناً أخرى تعرض هذه المضامين الكتابية إلى المحو أو الطمس مما يجعل تفكيكها أمراً عسيراً ، خاصة أن هذا الشواهد القبورية قد احتوت إضافة إلى معلومات تعريفية خاصة بصاحب القبر مادة أدبية غنية من التراث الأدبي والشعري العربي، ومن هذا المنطلق انصبت مساهمتي العلمية على تأصيل تلك المضامين الشعرية الواردة على تلك النقوش الجنائزية ، وتتبعها من مظان الكتب والمصادر التاريخية والإخبارية التي عنت بشؤون الأدب والشعر، حتى تكون النُخب الشعرية الواردة على هذه الآثار الجنائزية مادة علمية للدارسين والباحثين في هذا المجال، لما لاحظته من بعض السقطات المعرفية فيما يخص تفكيك المحتوى الشعري فيها ، واحتمال آخر هو أن الخطاط الذي نقش هذه النصوص الكتابية قد وقع في ذلك الزلل أو الخطأ ، وربما كانت لتحويلات لغوية وذلك بعد الرجوع إلى المصادر الإخبارية سواء التاريخية ، أو الأدبية والشعرية، وفيما يلي أهم نماذج شواهد القبور موضوع الدراسة :

-الشاهد الأول:

وردت هذه الأبيات التالية على شاهد قبر شمسة بنت مومن الزواغي والتي توفيت سنة سبعين وسبعماية للهجرة، وعثر على هذا الشاهد في المقبرة الملكية لسلطين الأسرة الحاكمة الزيانية، ومن خلال نعت صاحبة القبر " الحرة " دليل على أنها كانت تربطها علاقة بالأسرة الحاكمة، غير أنها ليست فرداً من أسرة بني عبد الواد التي حكمت تلمسان، وخصص وجه الشاهد بعضاً من الأدعية الدينية إضافة إلى معلومات عن صاحبة القبر، واحتوى ظهر الشاهد قد تضمن أبياتاً شعرية جاءت على النحو التالي^(٤٦):

الموت أخرجتني من بيت مهلكتي فالترب مضجعي من بعد تشريفي
 لله عبد راقب ربه فاعبره وحق من دهره ورد التصاريف
 هذا مصير بني الدنيا وإن نعموا فيها وغرهم طول التساويف
 استغفر له من جرم ومن زلل وأسأل من الله قوم يوم توفيقي
 كما وردت هذه الأبيات في مقال المستشرق الفرنسي بروسلا^(٤٧) ولكن هناك خطأ في
 القراءة من طرف هذا الباحث خاصة في البيتين الثالث والرابع: لله عبد راقب ربه فاعبره
 وحق من دهره رد التصاريف ، ولكن الصواب هو :
 لله عَبْدٌ رَأَى قَبْرِي فَأَعْبَرَهُ وخاف من دَهْرِهِ رَبِّبَ التَّصَارِيفِ.

وقد وردت هذه الأبيات الشعرية لأول مرة في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه في الجزء
 الثالث ، وقد كتبت على شاهد قبر أبي هاشم الأيادي في واسط بالعراق ، فحسب الخشني قال:
 أخبرنا بعض أصحابنا ممن كان يغشى مجلس الرياشي، قال رأيت على قبر أبي هاشم الأيادي
 بواسط:

الموتُ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِ مَمْلَكَتِي وَالْمَوْتُ أَضْرَعَنِي مِنْ بَعْدِ تَشْرِيفِي
 لله عَبْدٌ رَأَى قَبْرِي فَأَعْبَرَهُ وخاف من دَهْرِهِ رَبِّبَ التَّصَارِيفِ^(٤٨).
 والمحتوى الشعري يُعبر عن تأسف الشاعر وحسرتة على فراقه للعالم وما كان يتنعم فيها
 من ألوان النعيم ورغد العيش والسلطان، وأن القبر مصير كل إنسانٍ فان، ولا ينفع مع هذا
 المصائب والفجيرة إلا الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى. أعبره: أعطاه العبرة والعظة، أو جعله
 يبكي بعبرة أي بدمعة . ريب التصاريف: أحداث الدهر
 التساويف: جمع تسويف وهو التأجيل بأن يقول سوف أفعل.

الموت أخرجني من بيت مملكتي والترب مُضْطَجَعِي مِنْ بَعْدِ تَشْرِيفِي
 لله عبد رأى قبري فأعبره وخاف من دهره ريب التصاريف
 هذا مصير بني الدنيا وإن نعموا فيها وغرهم طول التساويف
 استغفر الله من جرمي ومن زللي وأسأل الله فوزا يوم توقيف^(٤٩).

-الشاهد الثاني:

لقد تضمن شاهد القبر معلومات حول اسم صاحب القبر ويتعلق الأمر بأحد سلاطين
 الأسرة الزيانية الحاكمة، الذي دفنوا في الروضة الملكية التي كانت تضم قبور العائلة الملكية،
 وهو السلطان أبي عبد الله محمد الواثق المعروف بابن خولة، الذي بُويع بعد خلع أخيه عبد الله
 سنة أربع وثمانمائة، وكان يتصف هذا السلطان بأخلاق كريمة وصفات حميدة، جعلته محبوباً بين

الرعية ، ومن الظاهر أن التنسي قد بالغ في مدح خصال هذا الأمير لدرجة أنه بدا في شخص شاع، مولع باللفظ أكثر من شخصه كمؤرخ، غير أن هذا لا يحجب الحقيقة في روايته تلك، والتي يمكن أن نستنتج منها خاصة بعض الحقائق التالية : أن أبي عبد الله محمد قد تفرد عن بقية إخوته ببعض الصفات الفاضلة، وبالموهبة الفطرية لممارسة الإدارة بكفاءة عالية، وحسن التدبير مع رعيته من جهة ومن جهة أخرى موته في وداعة وطمأنينة، وهو قل نظيره لعاهل كان يحكم في مرحلة مضطربة للغاية ، ودام حكمه ست (٦٠) سنوات^(٥٠). وقد اتصف حكمه للمغرب الأوس بالخضوع التام لسلطان المرينيين في المغرب الأقصى وحمائته ورعايتهم مدة تسع سنوات، وقد تمتعت فيه دولة بني عبد الواد في عهده باستتباب الأمن والدعة والهدوء الاجتماعي النسبي، مما شجع انتعاش الحركة الفكرية والعلمية والأدبية والفنية^(٥١)، وقد تضمن الشاهد القدمي لهذا الأمير الزياني بعضاً من الأبيات الشعرية التي جاءت على هذا النحو:

أيها الزائرين قبري أفيقوا يسكن القبر زايرا وزورا
كم لبسنا كما لبستم ثياباً وسكنا مقاصرا وقصورا
وتركنا كل ما كسبناه تراثاً وسكنا بعد القصور قبورا
يا لله الخلايق ألطف بعبادك عاد بعد ألغنا إليك فقيرا.

كما وردت هذه الأبيات في كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد عبد الله التنسي المتوفي سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م على هذا النحو:

يا أيها الزائرون قبري أفيقوا يسكن القبر زائرا ومزورا
كم لبسنا كما لبستم ثيابا وسكنا مقاصرا وقصورا
وتركنا ما قد كسبنا تراثا وسكنا بعد القصور قبورا
يا إله الخلايق الطف بعبد عاد بعد الغنى إليك فقيرا^(٥٢).

والملاحظ أن الكتابة القبورية قد تضمنت بعض الظواهر اللغوية ، وأخطاء نحوية مقصودة لذاتها ومنها تسهيل وتخفيف الهمزة أو تليينها بمعنى تحويلها إلى ياء مثل (زائراً) ، (زائراً) و " الخلايق " ، " الخلائق " كتابة ونطقاً على منوال نطق العوام.

-الشاهد الثالث:

تضمن الشاهد القدمي لقبر الشهيد الأمير أبو علي المنتصر بن أبو مالك عبد الواحد الملقب بالمتوكل على الله المنصور على البيت التالي:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجامها تجم .

وهذا البيت الشعري ينسب لصاحبه الإمام والشاعر الشيخ البوصيري الشهير بقصيدة البردة التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان البيت الأنف الذكر جزء منها .
-والآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثيف الملتف : من الوجوم وهو السكون .
والمعنى وكيف لا يهاب الكفار هؤلاء الأبطال وهم مستنصرون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن كان كذلك فلن يخيفه شيء ، حتى الأسود إن واجهته وهي في مراتبها تسكن من هيئته . وتبيان عظمتة وهيئته ، حتى الأسود من شدة رهبتها وخوفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم تشدد خوفاً ورهبة وفزعاً واحتراماً له^(٥٣).

-الشاهد الرابع:

رحلت وكننت ما أعددت زادا وقصرت في فوت (كذا) المقيم فما أنا قد رحلت بغير زاد ولاكني (كذا) نزلت على رحيم، ومن الظواهر اللغوية نجد أن حرف العطف " لكن " قد اقترنت بألف " لاكن " والأصل تحذف الألف من لكن تخفيفاً وعلى ذلك فهي الصحيحة المتفق على كتابتها. لأن الألف محذوفة خطأ لا نطقاً. فتحذف الألف في الخط وتبقى في النطق، وصاحب هذه الأبيات هو الشاعر المغربي جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني ، وأصله منها، وبها ولد سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وخرج عنها عند اشتداد فتنة العرب عليها سنة سبع وأربعين وأربعمائة إلى الأندلس، واستوطن برجة، من ناحية المريية، ويكنى أبا الفضل. وكان من جلة الأدباء، وكبار الشعراء، وكان شاعر وقته غير مدافع، وطال عمره وأخذ الناس عنه. وله توالييف حسان في الأمثال والآداب والأشعار، توفي رحمه الله ، عصر الثلاثاء منتصف ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين وخمسمائة^(٥٤). وردت هذه الأبيات كذلك في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، حيث يقول: " وسنورد شعر أبي عبد الله محمد ابن شرف وكلامه. وكان معاصراً لابن رشيق عند ذكره إن شاء الله تعالى. أنشدني أبو علي الحسن بن علي بن صالح الأندلسي وقد قدم العراق سنة سبع وخمسين وخمسمائة. فأنشدني غير واحد لابن شرف أنه قال عند وفاته:

رحلت وكننت ما أعددت زاداً ... وما قصرت عن زاد المقيم

فها أنا قد رحلت بغير شيء ... ولكني نزلت على كريم

يصور لنا الشاعر أبو الفضل في هذه الأبيات أصعب الفترات التي يحتدم فيها الصراع بين النفس وحتمية الموت من زاوية إيمانية بحتة، فينتفض فرقاً لأنه لم يقدم في حياته ما ينفعه بعد الموت، فالحياة مزرعة الآخرة يبذر فيها ما يجنيه يوم الحساب، ويتذكر بأن الله عفو كريم فيهدأ روعه ويتشبث بحبل المغفرة ، فيقول: رحلت وكننت ما أعددت زاداً وما قصرت عن زاد المقيم

فها أنا قد رحلت بغير شيء ولكني نزلت على كريم
وردت فكرة الرحيل مرتين في النص الشعري، وهي مؤكدة في المرة الثانية بـ"قد" التي تفيد
التحقيق مع الفعل الماضي، وللرحيل بداية ومنطلق هي الحياة الدنيا، ونهاية ومقام هي الدار
الباقية، وعلى الإنسان أن يتزود بالتقوى والأعمال الصالحة خلال سفره، مادام في سعة من أمره ،
وفي لحظة المواجهة يحاسب الإنسان نفسه، ويستصغر ما أعده من زاد ، ويود لو أنه فعل أحسن
مما فعل، واتقى أكثر وعمل صالحاً بشكل أفضل، وتبدو هذه الفكرة في قوله: " ما أعددت زاداً"
و"رحلت بغير شيء" وفي الجملتين حسرة وألم على ما فرط عندما كان الأمر بيده ، وتأتي النجدة
من ورطة لا مخرج منها في شكل استدراك " ولكني" إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء، يفرح
إليها المؤمن كلما ذاقته به السبل، إنه العفو الكريم^(٥٥).

-الشاهد الخامس:

وردت كتابة الشاهد بهذا الشكل في كتاب جامع الكتابات الأثرية العربية:

الوجه : ما أيشين محاسن الأنعام يا نفسي لا تقنطي من زلت (عظمت)
الظهر : ما وأرجا هيهات أنت غدا في سمر غد^(٥٦).

ومن الواضح أن صدر البيت الأول تضمن إحدى الأبيات الشعرية التي وردت في قصيدة
البردة للبوصيري وهي على هذا النحو:

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت إن الكبائر في الغفران كاللحم
المعنى: لما رأى الناظم من نفسه شدة الخوف، أقبل عليها يؤنسها برحمة الله بقوله: لا
يحملنك الخوف من عذاب الله بسبب ما جنيته من الذنوب على اليأس من رجته وغفرانه، فما
الذنوب الكبار إلى جانب غفرانه إلا صغار الذنوب والله أعلم^(٥٧).

-الشاهد السادس:

الوجه : الموت باب وكل النفس داخل والقبر لاشك منزل الراحلين
الظهر : الموت باب وكل النفس داخل والقبر لاشك منزل الراحلين.

-الشاهد السابع:

الوجه : ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجامها تجم
ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقصم
الظهر : إن آت ذنباً فما عهدي بمنقص من النبي ولا حبلى بمنصرم
فإن لي ذمة منه بتسميتي محمد وهو أوفى الخلق بالذمم^(٥٨).

وناظم هذه القصيدة هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي شرف الدين أبو عبد الله كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص فركب نسبة منهما وقال الدلاصيري ولكن اشتهر بالبوصيري، وكان الشيخ البوصيري شيخاً مختصراً الجرم وكان فيه كرم، وكانت وفاته في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة، وللبوصيري في مديح النبي صلى الله عليه وسلم قصائد طنانة^(٥٩). وسبب نظم هذه القصيدة حسب بعض ممن روى، عن صاحبها أنه قال: أصابني فالج عجز عن معاناته كل معالج، أبطل نصفي وأعيي وصفي، ففكرت أن أعمل قصيدة، أمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأتوسل بها في برئي إلى ربي، فنظمتها، ولما فرغت من نظمها نمت ليلة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فانكبت على الطاهرتين قدميه، وتصاغرت بين يديه، وتشكيت بما بي من الألم، فدنا صلى الله عليه وسلم، ومسح بيديه المباركتين على جسدي، فاستيقظت وقد عوفيت، والحمد لله^(٦٠). ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجامها تجم

الآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثيف الملتق : من الوجوم وهو السكون .
والمعنى وكيف لا يهاب الكفار هؤلاء الأبطال وهم مستنصرون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان كذلك فلن يخيفه شيء، حتى الأسود إن واجهته وهي في مراتبها تسكن من هيئته.
ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقصر
الولي: الصديق والنصير، منقصر : منكسر . المعنى: ومهما بحثت فلن تجد المؤمن به والمصدق بشريعته إلا منتصراً ظاهراً على غيره، ولن تجد الجاحد به والمنكر لشريعته إلا خائباً خاسراً^(٦١).
إن آت ذنباً فما عهدي بمنقصر من النبي ولا حبلى بمنصرم.
منصرم: منقطع. والمعنى: إذا اقترفت ذنباً فإنني لأرجو أن يغفره الله لي، لأن بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ميثاقاً لا يخلف، وسبباً يصلني به لا ينقطع.
فإن لي ذمة منه بتسميتي محمد وهو أوفى الخلق بالذم.
الذم: جمع ذمة: وهي العهد والأمان والضمان.

المعنى: وكيف لا أطمع أن يغفر الله ذنبي، وبينني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وأمان ألا يعذب الله من كان اسمه محمداً؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس وفاءً بالعهد^(٦٢).

-الشاهد الثامن:

ورد هذا الشاهد في جامع الكتابات الأثرية على هذا النحو:
نزلت حما أكرم الأكرمين كم كنت قبل تقرباً إليه

عفو كرم غفور رحيم فضيف الكريم كرم كريم.

أراد الشاعر فيها من خلال الأبيات أن يخاطب بها المتوفي، الذي انتقل إلى الدار الآخرة ويطمئنه على أنه نزل منزل أكرم الأكرمين وهو الله جل في علاه الذي سُبِحَ من وفادته لأنه هو خالقه ، وهذه المنزلة نالها نتيجة اجتهاده وعمله وتقربه من الله في الدنيا، وأن الله سبحانه وتعالى من صفاه العفو والكرم والرحمة ، وأن هذا الميث ضيف على رب العزة الكريم .

-الشاهد التاسع:

جاءت أبيات هذا الشاهد مكتوبة في كتاب جامع الكتابات على هذا الشكل:

- ١- الحمد لله
- ٢- يا رب إن ذنوبي في الوري كثيرة
- ٣- وليس لي حمل في الحشر ينجيني
- ٤- وقد أتيتك بالتوحيد بصحبة
- ٥- حب النبي وهذا القدر يكفيني
- ٦- فرب.....لآخرة
- ٧-.....رة(٦٣).

تتضمن نصوص هذا الشاهد دعوة على لسان الميث لله سبحانه وتعالى لمغفرة ذنوبه التي حسبه قد كثرت وازدادت وليس له طاقة على تحمل هول يوم الحساب والمحشر سوى عفو الله سبحانه وتعالى ، وليس له من شفيع بعد الله إلا عقيدة التوحيد التي هي الركن الأول من أركان الإيمان والعقيدة وثانيها هو حب النبي صلى الله عليه وسلم الذي اقترن دائما بحب الله ولا يستقيم إيمان المرء إلا محبته وإتباع سنته وهذان العملان حسبه ويكفيه لنيل غفران الله ورضاه.

-الشاهد العاشر:

جاء كتابات الشاهد في كتاب جامع الكتابات الأثرية على هذا الشكل:

- ١-أمسيت
- ٢-ضيف الله
- ٣-وعلى الملوك ك
- ٤-ضيفان هم يكرمون
- ٥- ساحتهم فكيف
- ٦- النزول بساحة
- ٧- الرحمن(٦٤).

-الشاهد الحادي عشر:

- ١-لامسيت
- ٢- ضيف الله في
- ٣-دار البقا فعلى
- ٤- الملوكة كرامة
- ٥- الضيف إن هم
- ٦- يكرمون النازل(٦٥).

لقد جاءت صيغ وعبارات الشاهدان متشابهتان، ومن الواضح أنهما لنفس الشاعر كونهما تضمنا تقريباً نفس الصيغ والعبارات مع تغيير بعض المفردات لأغراض تاريخية وأخرى شعرية، وأصل هذه الأبيات هو: أصبحت ضيف الله في دار الرضا - وعلى الكريم كرامة الضيفان تعفو الملوك حين النزول بساحتهم - فكيف النزول بساحة الرحمن.

فنلاحظ في البيت الأول أراد الشاعر استبدال كلمة "أصبحت" بـ "أمسيت" ربما لضرورة تاريخية أو زمنية وهي أن هذا الميت قد دُفن مساءً لذلك وظف الشاعر كلمة "أمسيت" دون الكلمة الأصلية "أصبحت" وأيضاً لفظة "دار الرضا" بـ "دار البقا" وهذا لتحقيق تناغم لغوي وشعري كون أنهما يؤديان نفس المعنى هو الدار الآخرة .

-الشاهد الثاني عشر:

وردت نصوص هذا الشاهد في كتاب جامع الكتابات الأثرية العربية على هذا المنوال:

- ١- تزود في الدنيا من ٥-موته إلى قبره غير الذي
- ٢- فعالك إنما ينفع ٦- كان يعمل سيما الإنسان
- ٣- الفتا في القبر ما كان يفعل ٧ - ضيفه لأهله يقيم قليلاً...
- ٤- فلن يصحب الإنسان من بعد ٨- عندهم ثم يرحل نزلت بحماه رحمة^(٦٦).

وهذه الأبيات الشعرية الظاهر أنها مقتبسة من إحدى الأبيات الشعرية التي نظمها الصلصال بن الدلهمس كما في رواية ابن الجوزي التي يقول فيها أن الصلصال (بن الدلهمس بن جندلة بن المحتجب بن الأغر بن العصفور) قدم مع بني تميم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاهم بشيء، فقال قيس بن عاصم: وددت لو كان هذا الكلام شعراً نعلمه أولادنا، فقال الصلصال "أنا أنظمه يا رسول الله، فأنشده أبياتاً، وأوردها ابن دريد في أماليه عن أبي حاتم السجستاني عن أبيه، قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بني تميم، فدخلت عليه، وعنده الصلصال بن الدلهمس، فقال قيس: يا رسول الله، عظنا عظة ننتفع بها، فوعظهم موعظة حسنة، فقال قيس: أحب أن يكون هذا الكلام أبياتاً من الشعر نفتخر به على من يلينا، وندخرها، فأمر من يأتيه بحسان، فقال الصلصال: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس، فقال: هاتها، فقال:

تجنب خليطاً من مقالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولابد بعد الموت من أن تُعده ليوم يُنادى المرء فيه فيقبل
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن بغير الذي يرضى به الله تُشغل
ولن يصحب الإنسان من قبل موته ومن بعده إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل^(٦٧).

كما وردت أبيات شعرية مشابهة لها في كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للبستي، حيث يقول: "أخبرنا أبي يعلى، حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة، حدثنا محمد بن مروان، حدثنا عطاء الأزرق: قال رحل للحسن: "يا أبا سعيد، كيف أنت؟ وكيف حالك؟ قال: كيف حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت، ولا يدري ما يُصنع به". وأنشدني منصور بن محمد الكريزي:

تخير قرينا من فعالك إنما - يزين الفتى في القبر ما كان يفعل
فإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن - بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلا بد بعد القبر من أن تعده - ليوم ينادى المرء فيه فيسأل
فلن يصحب الإنسان من قبل موته - ولا بعده إلا الذي كان يعمل
ألا نما الإنسان ضيف لأهله - يقيم قليلا بينهم ثم يرحل^(٦٨).

-الشاهد الثالث عشر:

- ١-تزود من معا
- ٥-يجمع للنفاد أترضى بأن
- ٢-شك للمعاد وقم لله
- ٦-رفيق قوم هم بزد
- ٣-واعمل خير زاد ولا تجمع
- ٧-وأنت بغير زاد...
- ٤-من الدنيا كثير فإن ما ٨-عندهم ثم يرحل نزلت بحماه رحمة^(٦٩).

وردت هذه الأبيات في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، الجزء الأول لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي، حيث يقول في هذا المعنى: "فانتبه من هذه الرقدة، واجعل العمل الصالح لك عِدة، ولا تتمنى منازل الأبرار، وأنت مقيم على الأوزار، وعامل بعمل الفجار، بل أكثر من الأعمال الصالحات، وراقب في الخلوات رب الأرض والسموات، ولا يغررك الأمل فتزهد عن العمل، أو ما سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول لما جلس على القبور: "إخواني لمثل هذا فأعدوا" أو ما سمعت الذي خلقك فسوى يقول: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى"^(٧٠).

على هذا المنوال:

- تزود من معاشك للمعاد وقم لله واعمل خير زاد
- ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يُجمع للنفاد
- أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد^(٧١).

-الشاهد الرابع عشر:

أنت هذه الأبيات في كتاب جامع الكتابات الأثرية على هذا المنوال:

- ١-ضيفك
- ٥-.....إنها عظام

٢- الذي قد أصبحت ٦-ولات... بغير عظيم^(٧٢).

٣- في الثرا والضيف حق عند

٤- كل كريم فهب لي ذنوبي.

لقد تطرق إلى هذه الأبيات ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان في معرض حديثه عن الشيخ أبي إسحاق الزمخشري، حيث يقول: " وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هذه الأبيات بمدينة حلب وقال: إن الزمخشري المذكور أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات، ثم أنشدني ذلك الفاضل الرئيس بيتين ونكر أن صاحبهما أوصى أن يكتب على قبره وهما:

إلهي قد أصبحت ضيفك في الثرى وللضيف حق عند كل كريم

فهب لي ذنوبي في قراري فإنها عظيم ولا يفري بغير عظيم^(٧٣).

-الشاهد الخامس عشر:

جاءت نصوص هذا الشاهد الشعرية في كتاب جامع الكتابات على الشكل التالي:

٥-.....^(٧٤). -تزود قرينا من فعا

٢- لك إنما قرين الفتا في القبر ما

٣- كان يفعل

٤- بعد موته ال.....

هذه الأبيات وردت في كتاب صفة الصفة لابن الجوزي في حديثه عن عابدة من العباد حيث قال: عن أبي سليمان الداراني. قال: حدثني سعيد الإفريقي. قال: كنت بببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد، فإذا أنا بجارية عليها درع شعر وخمار من صوف، فإذا هي تقول: إلهي وسيدي ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه. فقلت: يا جارية ما قطع الخلق عن الله - عز وجل -؟ قالت: حب الدنيا إلا أن لله - عز وجل - عبادا أسقامهم من حبه شربة فولهت قلوبهم؛ فلم يحبوا مع الله - عز وجل - غيره، ثم قالت تتشد: تزود قرينا من فعالك إنما - قرين الفتى في القبر ما كان يعمل ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يُقيم قليلاً عندهم ثم يرحل^(٧٥).

-الشاهد السادس عشر:

وردت هذه الأبيات الشعرية في كتاب جامع الكتابات الأثرية على هذا النحو:

١- يا رب إن عظمت ٥- رددت يدي فمن ذا يرحم إن كان

٢- ذنوبي كثرة فلقد علمت ٦-...محسن فمن ذا

٣- أن عفوك أعظم أدعوك ٧-.....عام.....^(٧٦).

٤- رب كما أردت تضرعا فإذا وردت هذه الأبيات في ديوان الشاعر أبي نواس وهي كل ما صح له في باب الزهديات.

يا رب إن عَظُمْتُ ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا مُحسن فبمن يلوذ ويستجير المُجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل ظني ثم أي مسلم^(٧٧).

-الشاهد السابع عشر:

١- تزود بزاد ٥- من بعد موته إلى قبره

٢- من فعالك إنما قر ٦- غير الذي كان يعمل س

٣- بين الفتا في القبر ما كان ٧-كيف لأهله

٤- فلن يصحب الإنسان ٨-تحزن^(٧٨).

وخلاصة القول أن شواهد القبور الإسلامية لم تكن تتضمن فقط معلومات تعريفية عن صاحب القبر المتوفي ولا آيات قرآنية أو أدعية دينية فقط بل حَقَلت هذه النقوش الجنائزية بتراث غزير من الأشعار المُنتخبة من أمهات الكتب التاريخية والأدبية لفحول من الشعراء الأفاضل الذين كانوا يتمتعون بصدق الأحاسيس والمشاعر ، ودقة التصوير والتعبير لمصيبة الموت وألم فراق الأهل والأحباب ، كما كتبوا أشعاراً من عيون الحكمة والتبصر ووظفوا تجاربهم الشعرية في مثل هذا الصنف من الشعر الحكمي الذي يقوم على نبذ الغفلة والانغماس في ملذات الدنيا وزخرفها ونسيان الآخرة وما أعد الله فيها من النعيم والعذاب ووحشة القبر وعذابه ونعيمه ومعاناة الوحدة والبعد فيه ، لقد كانت تلك الابيات الشعرية التي نُمقت بها شواهد قبور تلمسان قد جمعت بين جمال الشكل وحسن الخط وبين تلك المعاني الراقية والأحاسيس المُرهفة وتلك التعابير الهادفة وبلاغة التصوير لتلك المواقف الحزينة والمُبكية التي تُعبر عن المصير المحتوم للإنسان (الموت) مهما طال عمره في الدنيا. فهذه الكتابات الشاهدية هي من بين الوثائق المادية التي لنا حَفَظت لنا هذا التراث العربي الأدبي والشعري من الزوال ، فهي وثائق لها مصداقية كبيرة ومن الصعب الطعن فيها بسهولة، فنجد أن الكثير من التراث الشعري ، وخاصة الذي احتوته بعض المخطوطات الورقية قد تعرض إلى زوال بفعل العوامل الطبيعية أو البشرية وبعضه في طريق الزوال، ومن ثم على الباحثين الالتفات إلى هذه الكتابات الشاهدية بما احتوته من مضامين لغوية وشعرية من أجل استخراج واستنباط مادة غنية ومصدراً مُهما من مصادر التاريخ والأدب والفن.

References

- (١) العمري أكرم ضياء، التراث والمعاصرة، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، الطبعة الأولى، قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٥.
- (٢) أبو الأنوار محمد، التراث الشعري ودوره في مراحل تطور الشعر العربي جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد ٧، العدد ١٤، رجب، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٥٨.
- (٣) حسن حسين الحاج، حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٣٥٣.
- (٤) جمعة حسين، الشعر العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، رسالة ماجستير كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٠٢.
- (٥) أبو الأنوار، المرجع السابق، ص ١٠٣.
- (٦) ابن رشيق أبي علي الحسن، القيرواني، الأزدي (٣٩٠-٤٦٥هـ)، العُمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، الجزء الأول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الخامسة، سوريا، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٤٧.
- (٧) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، ص ٥٧.
- (٨) سراج الدين محمد، الحكمة في الشعر العربي، سلسلة مبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٠٥.
- (٩) حسن فتح الباب، فن الرثاء في الشعر العربي القديم، مجلة جذور، شوال ١٤٢٥هـ/ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٣١٠.
- (١٠) القاسمي عبد الجبار، تطور الرثاء في العصر الجاهلي، مجلة المجمع العلمي الهندي، العدد الثاني، فبراير ١٩٩٣م، ص ٢٦١.
- (١١) يوسف عبد الباقي، شعرية الحكمة في التراث الشعري، مجلة عبقر، العدد العاشر، فبراير ٢٠١١م، ص ٠٩.
- (١٢) شاهد: لغة : شهد المجلس (بفتح الشين وكسر الهاء) : حضره وشهد الشيء : عاينه مصداقاً لقوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" أي من كان حاضراً في الشهر مقيماً غير مسافر، وشهد الأمر : اطلع عليه، وشهد الجمعة أدركها فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور، والشهيد من قتله الكفار في المعركة لأن الملائكة الرحمة شهدت غسله أو شهدت نقل روحه إلى الجنة، والشهادة : الموت في سبيل الله.
- اصطلاحاً: جمع شواهد وهو لوح رخامي أو حجري يوضع فوق القبر عند رأس الميت يكتب عليه غالباً - بعد البسملة وقد يبلغ إتيان الكثير من هذه الشواهد إعداداً ونحتاً وكتابة - بارزة وغائرة- إلى الحد الذي جعلها واحدة من الأعمال الفنية الراقية، فاحتلت أماكنها غي المتاحف المتلفة لجمال نقشها وروعة كتابتها أنظر: عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥٨.
- وعلى مر العصور تعددت وتتنوعت المواد التي صُنعت منها شواهد القبور، وذلك تبعاً لتعدد المناطق الجغرافية وتنوعها، وبعضها كان مرتبط بما تقدمه البيئة الجغرافية ما توفر في الطبيعة من مواد خام للإنسان، فقد كانت

- مادتي الحجارة والرخام هما المادتان الأساسيتان في صناعة الشواهد خلال القرون الثمانية الأولى، أنظر: عبد الحق معزوز ، شواهد القبور في الجزائر دراسة تميطية وفنية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م ، ص ٣٢.
- (١٣) شوقي ضيف، الرثاء، سلسلة فنون الأدب العربي، الفن الغنائي (2)، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٠٧-٠٨.
- (١٤) **نقش حران** : وقد عثر عليه في حران في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، وعليه كتابات باللغة العربية واليونانية، ويرجع تاريخ نقشه إلى سنة ٥٦٨م، وقد وجد على باب كنيسة أقيمت للقديس يوحنا المعمدان، وهو مكتوب بخط أقرب ما يكون من خط النسخ.
- (١٥) **نقش النمارة** : لقد عثر على هذا النقش المستشرق الفرنسي ديسو Dussaud ، بأطلال قصر صغير كان الروم في الحرة الشرقية من جبل الدروز بالشام ، وبالضبط بصحراء "نمارة"، وقد أرخت كتابته النبطية بـ ٣٢٨ م ، وهو مكتوب على قبر أمرئ القيس ويتألف من خمسة أسطر.
- (١٦) جمعة حسين، المرجع السابق، ص ٠٢.
- (١٧) الهمذاني أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٦٠هـ)، كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق وتعليق محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، اليمن ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٢.
- (١٨) . ابن أبي الدنيا الحافظ القرشي(ت ٢٨١هـ) ، كتاب القبور، تقديم طارق محمد سكلوع العمودي ، مكتبة الغرياء الأثرية، الطبعة الأولى، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- (١٩) أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٥٠٢-٥١٣.
- (٢٠) ابن اللبودي، أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خليل ، إخبار الأخيار بما وجد على القبور من الأشعار، جمع لويس شيخو اليسوعي ، مجلة المشرق، العدد ١٢، ديسمبر ١٩٢٢.
- (٢١) عناية مصطفى حسين محمد ، شعر التعازي والقبور في الأندلس المحاور والسمات الفنية، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٣.
- (٢٢) السحيباني عبد الله بن عمر بن محمد، أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الدمام ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٧٣.
- (٢٣) إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى من الهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع أخرى من العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٨٣.
- (٢٤) البابا كامل، روح الخط العربي، دار لبنان للطباعة والنشر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٤.
- (٢٥) نبيل رشاد نوفل، العلاقات التصويرية بين الشعر العربي والفن الإسلامي، دار المعارف، الإسكندرية، ص ٣٩.

- (٢٦) كلود عبيد ، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م ، ص ١١
- (٢٧) البندوري محمد ، جمالية الخط المغربي في تقويم النص الشعري بين النقاد العرب القدامى والمحدثين ، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، المملكة المغربية ، ٢٠١٠م ، ص ١٠٢ .
- (٢٨) بنيس محمد ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة بنيوية تكوينية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٠٠ .
- (٢٩) عبد الحق معروز ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- (30) Max Van Berchem , L'épigraphie musulmanes en Algérie ,étude sur le corpus , in Revue Africaine N° 49, 1905, pp 188-189.
- (٣١) أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي الحطاب الرعيني ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، تحقيق زكريا عميرات ، المجلد الثالث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٦٦ .
- (32) Georges Marais, Mélanges D'Histoires et D'Archéologies de l'Occident Musulman ,tome 1, articles et conférences, Imprimerie officielle ,Alger,1957,p155.
- (٣٣) دولة بني حماد : تنتمي الدولة الحمادية (٣٩٨ - ١٠٠٧هـ / ١٠٥٢ - ١١٥٢م) نسبة إلى مؤسسها حماد بن بلكين ، والذي ينتمي إلى قبيلة صنهاجة التي كانت من أوفر قبائل البربر ، حتى أن بعض المؤرخين يؤكدون على أنها تمثل ثلث أمم البربر ، أول دولة بربرية مستقلة تحكم الجزائر في العصر الإسلامي ، تداول على حكم الدولة تسعة أمراء تفاوتت فترات حكمهم بين القوة والضعف ، كان آخرهم يحي بن عبد العزيز ، وقد خلفت هذه الدولة الكثير من المنشآت العمرانية والمعمارية الباقية إلى يومنا هذا ، نت أبرزها قلعة بني حماد ، أنظر : عبد الحليل عويس ، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، القاهرة ، ص ٤٧-٥٠ .
- (٣٤) رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية ، ديوان المطبوعات الجامعية - المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٢٩٨ .
- (٣٥) عبد الحق معروز ، المرجع السابق ، ص ٣٣-٣٤ .
- (٣٦) محمد حقي ، عمارة الموت في المغرب والأندلس بناء القبور ، مجلة المناهل المغربية ، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية ، العدد ٧٣-٧٤ ، فبراير ٢٠٠٥ ، المملكة المغربية ، ص ٣٩٤ .
- (٣٧) دي تيران إغناثيو غوتيريث ، النقوش الكتابية في إسبانيا وصناعة الحرف على المواد الصلبة " اللغة العربية والنقوش والآثار المكتوبة في إسبانيا مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية ، العدد الثالث ، ٢٠٠٥م ، ص ٦٦ .
- (٣٨) عبدلي الأخضر ، لحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (٦٣٣-٩٦٢هـ / ١٢٣٦-١٥٥٤م) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة تلمسان ، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م ، ص ١٨٣-١٨٤ .
- (٣٩) عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، الجزء الثاني ، موفم للنشر ، الجزائر ، ٢٠٠٧م ، ص ٤٦٣ .
- (٤٠) حساني مختار ، تاريخ الدولة الزيانية ، الجزء الثاني ، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

- (٤١) عبدلي الأخضر، المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٤.
- (٤٢) بنو عبد الواد قبيلة بربرية تتفرع من قبيلة زناتة إحدى أكبر القبائل البربر، كان موطنهم الأصلي الصحراء، ثم انتقلوا إلى الشمال، وقد أسس أحد أتباعها وهو يغمراسن بن زيان دولة مستقلة بعد سقوط دولة الموحدين، سُميت بالدولة الزيانية (١٢٣٦ و ١٥٥٤ م)، واتخذوا من تلمسان كعاصمة لهذه الدولة الناشئة في المغرب الأوسط.
- (٤٣) الشواهد الموشورية هي شواهد على شكل مقعب وتتميز بمظهر موشوري مثلث تعلوه قاعدة مدرجة، وبمساحة منقوشة بطريقة مرتبة وبسيطة أو مزدوجة التركيبية محتلة بشكل منتظم وجهتي الشاهد، وفي بعض الأحيان يشغل النقش كلتا الجانبين أو حتى ضلعي الموشوري، أنظر ليلي مرابط، الكتابات الشاهدية الزيانية ٨-١٠هـ/١٤-١٦م مجموعة متحف تلمسان دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ص ٢٨.
- (٤٤) خط الثلث المغربي: هو نوع من الخطوط العربية مقتبس من خط الثلث المشرقي، ويُعرف أيضا بالخط المشرقي المتغرب، ومن خصائصه الفنية نجد أن حروفه تتمتع بحرية أكبر، حيث تتعدد صور الحرف الواحد في نفس الجملة تبعا لضوابط جمالية بصرية يستدعيها توزيع الفضاء وتركيب الحروف في تناغم داخلي ينم عن إحساس شاعري بالحروف وتركيبها وجمالها وليونتها وانسيابها، كما يمتاز هذا الخط بإمكانياته غير المحدودة على التشكيل. ويكتب بطريقتين هما: الطريقة البسيطة التي تسير في اتجاه خطي، والطريقة المركبة المتداخلة، أنظر: عمر أفة ومحمد المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ٢٠٠٧ ص ٥٩.
- (٤٥) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزء الثاني، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٣٣٧-٣٣٨.
- (٤٦) معزوز عبد الحق ودياس لخضر، جامع الكتابات الأثرية العربية، الجزء الثاني كتابات الغرب الجزائري مجموعة متحف تلمسان، المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة سومر، بئر خادم، الجزائر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٢٦.
- (٤٧) Brosselard Charles, Mémoire épigraphique et historique sur les tombeaux des émirs Beni-Zeiyan et de Boabdil, dernier roi de Grenade, découverts à Tlemcen Journal Asiatique, janvier – février, 1876,p06-194.
- (٤٨) ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م، ص ٢٠٦.
- (٤٩) الإشبيلي أبي محمد عبد الحق، العاقبة في ذكر الموت والأخرة، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- (٥٠) شارل بروسار، كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية لمدينة تلمسان، تعريب وتقديم الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١١م، ص ٣٧.
- (٥١) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ٦٩.

- (٥٢) التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتقديم محمود بوعيايد، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٢٣٣.
- (٥٣) محمد يحيي الحلو، البردة شرحاً وإعراباً وبلاغاً لطلاب المعاهد والجامعات، مراجعة محمد علي حمد الله، دار البيروني، الطبعة الثالثة، دمشق، سوريا، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٨٣.
- (٥٤) ابن بشكوال، كتاب الصلة، الجزء الأول، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص ٢١٤.
- (٥٥) علي عالية، الشاعر الفيلسوف أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العددان الثاني والثالث، جانفي - جوان ٢٠٠٨م، ص ٢٤-٢٥.
- (٥٦) معزوز ودرياس، المرجع السابق، ص ٢٣٩.
- (٥٧) محمد يحيي الحلو، المرجع السابق، ص ٢١١.
- (٥٨) البوصيري شمس الدين الشيخ محمد الفيومي، الكواكب الدرية تخميس البردة البوصيرية في مدح خير البرية المطبعة المصرية، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، القاهرة، ص ٢٤-٢٦.
- (٥٩) الصفدي صلاح الدين خليل بن إيبك (ت ٧٦٤)، الوافي بالوفيات، الجزء الثالث، طالعته يحيي بن حجي الشافعي بن إيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٩٣.
- (٦٠) عبد الرحمن بن محمد المعروف ابن مقلّاش الوهراني، شرح البردة البوصيرية الشرح المتوسط، تحقيق محمد مرزاق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٥٥-٥٦.
- (٦١) نفسه، ص ١٨٣-١٨٥.
- (٦٢) نفسه، ص ١٩٦.
- (٦٣) معزوز ودرياس، المرجع السابق، ص ٢٩٩.
- (٦٤) نفسه، ص ٣٣٣.
- (٦٥) نفسه، ص ٣٧٣.
- (٦٦) نفسه، ص ٣٣٩.
- (٦٧) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الجواد والشيخ علي معوض، قدم له وقرظه محمد عبد المنعم البري وعبد الفتاح أبو سنة، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٣٦١.
- (٦٨) أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، ٢٠١٤م، ص ٣٢.
- (٦٩) معزوز ودرياس، المرجع السابق، ص ٣٤٠.
- (٧٠) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

- (٧١) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، الجزء الأول، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ، ص ٣٠٦.
- (٧٢) معزوز ودرياس، المرجع السابق، ص ٣٥١.
- (٧٣) ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) ، وَقِيَّاتُ الأعيان وَأنباءُ أبناءِ الزمان ، الجزء الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٧٣.
- (٧٤) معزوز ودرياس ، المرجع السابق، ص ٣٥٩.
- (٧٥) أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، صفة الصفوة ، تحقيق خالد محمد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٨٣٢.
- (٧٦) معزوز ودرياس ، المرجع السابق، ص ٣٧٠.
- (٧٧) أبي نواس ، ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٣١-٢٠١٠م، ص ٧١٦-٧١٧.
- (٧٨) معزوز ودرياس ، المرجع السابق، ص ٣٧٢.